أ. الشيخ حسن البغدادي
عضوا المجلس المركزي في حزب الله
ورئيس جمعية الامام الصادق (ع) لإحياء التراث العلمائي

نقد مسيرة التقريب

ما أجمل أن ينقدَ الإنسان نفسه، أو أن يطلب من الآخرين انتقاده. قلةٌ هم الذين يقبلون النصيحة ويعملون على تطبيقها عندما يستمعون إليها.

عنوان مقالنا هذا "نقد مسيرة التقريب" ما أجمله من عنوان، ويحلو أكثر عندما يطلب هذا منا شخص "المسافة شاسعة بيننا وبينه في المجال التقريبي"، عنيت به سماحة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري. فكان لزاماً أن نستجيب لهذه الرغبة، كي نعبّر عما في صدورنا، بما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين.

نقد مسيرة التقريب:

تارة ننقد مسيرة التقريب بشكل عام من زاوية المتصدين لها على امتداد تاريخنا الإسلامي بجغرافيته المتعددة ورموزه المختلفة بما فيها المناهج التقريبية، وطوراً يكون

المقصود هو نقد مسيرة التقريب بخصوص"المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية" الذي تأسس في إيران عام ١٩٩١م برعاية الامام القائد السيد علي الخامنئي "دام ظله".

لا شكَّ أن رواد التقريب كانوا أكثر الناس إخلاصاً وتحسساً للمسؤولية، وإصراراً على العمل التوحيدي لجمع طاقات المسلمين، فهؤلاء السادة قد بذلوا الجهد واستفرغوا الوسع في سبيل توحيد الجهود المشتركة وجمع المشاعر على ما فيه مصلحة هذه الأمة، كما يُقال عندنا في لبنان بالمثل العامي " كانوا يبحثون بالسراج والفتيل" عن الطرق والأساليب التي تنفع وتساهم في دعم مسيرة التقريب، ومن نعم الله تعالى، في الغالب كانوا يهتدون إلى الطرق الموصلة ذات الفائدة الكبرى، إلا أنهم كانوا يُصطدمون بالواقع السياسي القذر الذي كان ينفذ من خلال إثارة الفتن المذهبية والنعرات الطائفية المقيتة، واستغلال قوى ظلامية، جاهلة في أحسن أحوالها ينطبق عليها قوله تعالى: ﴿ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾. وفي الحمل على الأسوأ هم قوى مرتبطة بوضوح بأجهزة مخابرات أمريكية واسرائيلية، تعمل على ضرب مصالح المسلمين وتفتيت وحدتهم من خلال تبنّي الدفاع عن قضايا مذهبية، هي أبعد ما تكون عن الإسلام وعن مصالح المسلمين، ورواد التقريب كانوا ولا زالوا يأخذون بالاعتبار هذا المنحى الخطير، وكانوا يواجهونه بالتصبّر وعدم الالتفات، والمضيّ قُدماً باتجاه الوحدة ولمّ الشمل.

هنا وإن اختلف رواد التقريب في المنهج والإسلوب، الا أنهم مجمعون على ضرورة توحيد الجهود، فلربما كانت بعض العناوين الوحدوية تنفع في زمان دون آخر أو مكان دون آخر إلا أنّ هذا لم يُلغ حسنها وأهميتها في مرحلتها، ويبقى كُلّ الشُكر والإمتنان لأصحابها على جهدهم. وأعتقد لولاها لكانت الأمور أصعب مما هي عليه اليوم، وعلينا أن نعمل على تطويرها بما ينسجم مع حجم التحديات التي نواجهها حالياً، والمخاطر

التي تنتظرنا، نتيجة الإخفاقات التي مُني بها العدو، والإنجـازات الكـبرى الـتي حصـلنا عليها.

أمّا فيما يخص المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية الذي تأسّس في إيـران عام ١٩٩١م برعاية سماحة الامام القائد السيد الخـامنئي "دام ظلـه"، يـذكّرني بـدار التقريب في القاهرة الذي تأسس سنة ١٩٤٩م وضم كبارعلماء المذاهب الاسلامية، مـن لبنان: كالسيد عبد الحسين شرف الدين، ومن العراق: كالشيخ محمد حسـين آل كاشـف الغطاء، ومن ايران: كالسيد حسين البروجـوردي، ومضـافاً لمشـيخة الأزهـر الشـريف كالشيخ محمود شلتوت، وقيمة تلـك الـدار أنّ المنتسـبين إليهـا كـانوا يعيشـون حـسّ المسؤولية، ويعملون بالليل والنهار على دفع عجلة التقريب، وهذا ما ظهـر مـن خـلال الإنجازات التي تحققت، كإنشاء كليـة في الأزهـر الشـريف لتـدريس الفقـه الجعفـري، والدعوة الى الاجتهاد المنقذ للمسلمين من ظلامية التقليد، مضافاً للكثير مـن المشـاريع كإصدار مجلة رسالة الإسلام والاحاديث المشتركة... إلخ.

وجاء مجمع التقريب اليوم ليعيد إلينا تلك الذكريات التي هي حلم كل مخلص وواعٍ، وما اختيار سماحة السيد القائد لآية الله الشيخ التسخيري " أميناً عاماً لهذا المجمـع"، إلاّ عن سابق إصرار في دفع التقريب إلى الواجهة مجدداً.

هناك متغيرات كثيرة على صعيد المنطقة والعـالم، و الأخطـر في الموضـوع أنّ قـوى الشر تعمل بوضوح ومن دون مواربة على إذكاء نار الفتنة من دون خجـل ولا وجـل، أمام هذا الواقع ماذا يمكن أن نفعل هل نعفي أنفسنا من أي تقصير، ونضع اللوم بالكامل على الجهات العابثة بالأمن والسياسة، أم نوزع المسؤولية ونتهم انفسنا ولو بشيء مـن التقصير.

حتى أكون أكثر وضوحاً لا بُدَّ من إجراء دراسة تفصـيلية لمسـيرة التقريـب تكـون بعيدة عن المجاملة، بتقديري هناك نوعان من الأخطاء، قسم استراتيجي، وآخر عفـوي

فردي، أو عدم فهم وجهل، أو سمه ما شئت... ولكن هل هذا النوع من الأخطاء يستلزم تكفير طائفة برمتها لها جذورها وفقهها، أم أنَّ هذه الاخطاء تُؤخذ ذريعة لشن هذا الهجوم الساحق على كلّ مكونات المذهب، مع العلم أنّ قادة وعلماء وأعيان هذا المذهب لا يؤيدون هذه الأخطاء، بل على العكس، يعيشون حالة تشدد ضدها، ووضعوها في خانة الخيانة، وهناك أخطاء اساسية، عندما يتعمّد قادة المذاهب من علماء وباحثين للعمل على تهشيم من يختلف معهم فكرياً وفقهياً، حتى ولو ادى ذلك الى تكفير المسلمين والتقاتل فيما بينهم، والإفساح بالمجال امام شباب مُضللين كي يفجروا أنفسهم بالمسلمين وهم في حالة الصلاة أو الزيارة، بدل من أن يدفعوهم كي يفجروا انفسهم بالمحتل الأمريكي والاسرائيلي، هذا بسبب إغلاق باب الاجتهاد، والتمسك بالقشور التي تفترض أن البديل هو التكفير والتقاتل.

اذاً عندما نبتعد عن القضايا الأساسية التي تشدُّ من عضد المسلمين فإن النتيجة تكون واضحة: التقاتل والتكفير. ونفسح بالمجال أمام المصطادين بالماء العكر.

لهذا أقول: هل نحن الذي ندعي العمل بالمنهج التقريبي، قد بذلنا كلَّ الجهد واستفرغنا الوسع عن جميع الأساليب، وكنّا جديين إلى الحدّ الأقصى، أم أنّ هناك من يتأثر بالأوضاع السياسية، ويبتعد عن الأعمال التقريبية لأدنى سبب؟ أنا هنا أناشد الجميع بأن يكون العمل التقريبي مستقلًا بذاته، وأن لا نتخلى عنه تحت أي ذريعة، وهذه الذهنية تُكوّن ضمانة استمرار النهج الوحدوي، وتقطع الطريق على من يعوم على الفتنة، ويعمل على ضرب مصالح ودين هذه الأمة.

لهذا في إطار " نقد مسيرة التقريب"، يجب أن نركّز على قضايا عدة، ونعمل بجد في اتجاهها:

أولا: دراسة تجربة دار التقريب في القاهرة التي تأسَّست سنة ١٩٤٩م، وضمت كبار علماء المذاهب من مصر والعراق وإيران ولبنان وغيرها، وما أنتجته تلك الدار.

ثانيا: العمل على تفعيل دور " الفقه المقارن" أو ما يسمّى بفقه الإختلاف وهذا له عظيم الأثر في تقريب النفوس ، وقطع الطريق أمام المصطادين بالماء العكر.

ثالثا: أن يلتفت علماء المذاهب إلى قواعدهم واعيانهم، وفي أغلب الأحيان يعمل كلّ فريق على استيعاب الطرف الأخر، ناسياً ساحته الخاصة، لأتحدث عن نفسي وإخواني كعلماء إمامية فغالباً ما نتجه لبناء علاقات طيبة مع اخواننا من علماء المذاهب الإسلامية ونبتعد عن ساحتنا الداخلية، مع العلم ان ساحتنا تحتاج الى تحضير وإقناع كأي ساحة أخرى، لهذا علينا أن نعود جميعاً إلى ساحتنا الداخلية لنعمل عليها ونوضّح لها المسائل، ولنضعها في أجواء المخاطر، وضرورة التوحد، ونحذرهم من مشروع التضليل أو أن تذهب بهم المذاهب إلى ما فيه شرٌّ لهم.

رابعا: أن نستفيد من ذكرى عاشوراء الحسين (ع)، كمشروع جامع ومستنهض، فالدم يجب ان يكون أسرع الى لمّ الشمل وجمع المشاعر، فالحسين (ع) استشهد عام ٦١ للهجرة، والمذاهب الإسلامية نشأت في بداية القرن الثاني، ومؤسس المذهب الحنفي الامام ابو حنيفة ولد عام ٨٠ للهجرة ودرس مع مالك رئيس المذهب المالكي، على حفيد الحسين (ع) الامام جعفر الصادق(ع)، لذا على علماء المذاهب ان يوضحوا هذا الأمر لقواعدهم، وأن يعملوا على إقامة مجالس العزاء والحداد، مضافاً للمشاركة في مجالس سيد الشهداء (ع)، وهذا لو تمّ لكنا قطعنا شوطاً كبيراً في اتجاه الوحدة، ولقطعنا الطريق على المخالفين لوحدتنا.

خامساً: ضرورة العمل على رصد مؤامرات العدو بدقة، وإيصالها الى كل العلماء والمشايخ، والفعاليات من جميع المذاهب كي يلتفتوا إليها ، حتى تكون حافزاً لهم للوقوف في وجهها.

سادساً:التواصل الاجتماعي، فلو ان علماء المذاهب بادروا في الدوام على زيارة العلماء والمراكز الدينية والتواصل، لترك هذا أثراً طيباً ، وهذا ما شاهدناه في لبنان، كان

بعض العلماء من مختلف المذاهب، يعيشون عقدة من المذهب الآخر، وعندما تم التواصل واللقاءات والزيارات، سرعان ما شاهدنا التبدّد في المواقف، والتحول لاتجاه الإيجاب بما فيه مصلحة المسلمين.

في الختام: لا أحد يستطيع ان ينكر الجهود التي يبذلها مجمع التقريب بين المذاهب، وانا اعرف عن قرب الهم الذي يعيشه سماحة الأمين العام للمجمع، على الرغم من وضعه الصحي، ومع ذلك فهو لا يكلّ ولا يمل في سبيل الدعوة الى الوحدة.

أسأله تعالى ان يطيل عمر سماحة القائد الامام السيد الخامنئي "حفظه المولى"، المدرك لكل هذه المخاطر والراعي لكل هذا الجهد، وعودنا أن يقف بحزم أمام المتآمرين، عن قصد وغير قصد.